مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 3 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2021 ص 253 - 268

حركيّة المناهج النقديّة ووهم النهضة العربيّة

The critical methods' kinetics and the Illusion of the Arab Renaissance

د. كريمة بلخامسة*

تاريخ الاستلام: 13- 12- 2020/ تاريخ القبــول: 27- 01- 2021

التعريف الرقمي للمقال: 2021 10.33705/0114-023-003-014 DOI

ملخّص: لقد عرفت السّاحة الثّقافيّة الأدبيّة والنّقديّة العربيّة حركة انتقاليّة نوعيّة غيّرت المألوف؛ وصنعت الجديد خلال القرن التّاسع عشر، وحدّدها التّاريخ باسم النّهضة أو اليقظة العربيّة أو حركة التّنوير العربيّة، ويعدّ هذا المشروع العربي حدثا فكريًّا ينبغي الوقوف من أجل دراسته وفهم عمقه والبحث في خباياه. من هنا جاءت فكرة البحث في حركيّة المناهج النّقديّة المختلفة الحديثة والمعاصرة ومدى مسايرتها للمشروع النّهضوي العربي الاسلامي، وهل استطاع المفكر العربي انتاج مناهج نقديّة مستمدّة من التّراث العربي واستثمار هذا الأساس القاعدي لبلورة منظومات اصطلاحيّة ونقديّة تدرس النّصوص الابداعيّة العربيّة وهل استطاع القرن التّاسع عشر وما عرفه من تحولات عميقة أن يؤسّس فكرا عربيا خاصًّا؟

كلمات مفتاحيّة: المناهج، النّهضة، الوهم، التّبعيّة، الثّقافة الغربيّة، القرن التّاسع عشر.

* ج. عبد الرّحمان ميرة بجاية -الجزائر، البريد الإلكتروني: fr.belkhamsakarima@yahoo (المؤلّف المرسل)

Abstract: The kinetics of the Arab cultural, literary and critical field has seen a quantum leap that brought a change and in the nineteenth century, the event called the Arab Renaissance or enlightenment.

This project is an intellectual event worth studying in depth because a term of Renaissance itself raises many theoretical and historical questions, given the current dependency of the Arab thought in our days on the western intellect in its cultural literary, intellectual dimensions, with the complete absence of the Arab Islamic patrimonial elements.

The point in this paper is to seek for the extent to which the kinetics of the current critical methods are In line with the project of the Arab Islamic Renaissance, and whether or not the Arab intellect managed to produce critical methods that are inspired from the Arab patrimony, and invest them in developing the appropriate methodology that can be used in the study of the Arab texts, and whether or not the nineteenth century could establish a new specific Arab thought.

Keywords: methods, Illusion, dependency, western culture nineteenth century

1. مقدّمة: إنّ المتأمّل في الدّرس النّقدي العربي في الوقت الرّاهن يقف حائرا أمام هذه الجدليّة الضّديّة بين المناهج النّقديّة الحديثة المعاصرة والتّراث النّقدي العربي، حيث أصبحنا اليوم في تبعيّة كاملة لما ينتجه الغرب من تطوّرات في مجال النّقد، ومن الجهة الأخرى غيّب التّراث في دراساتنا الحداثيّة وهمّش كليا ولم تستثمر نتائج علماء العرب في شتّى المجالات (اللغة والفقه والبلاغة والشّعر) وبقى النّاقد العربي في تبعيّة خانقة لما ينتجه الآخر من جديد وما تحمله وتنتجه التّرجمة بكل إيجابياتها وسلبياتها، وهذا ما يجعلنا نشكّ في حقيقتها وعمقها ونطرح السّؤال أين تتمظهر معالم هذه النّهضة الفكريّة العربيّة ؟

وكما يتبيّن لنا درجة الانحراف والانشقاق الذي يعيشه النّاقد العربي، إذ يتعامل مع مناهج نقديّة منفصلة حضاريا وثقافيا عن المجتمع الذي ينتمي إليه، إضافة الى مخاطر التّرجمة وخيانتها للأصول وهذا ما يبرر ويفسّر فوضى المنظومة الاصطلاحيّة وعدم اتفاق النّقاد في استعمالاتهم لنصل الى هذا الضّياع المنهجي الذي قتل الحركة النّقديّة في عمقها، كما أثّرت هذه التّبعيّة النّقديّة للغرب على الحركة الابداعيّة العربيّة إذ وقع المبدع بطريقة تلقائيّة في المأزق ذاته وأصبح الكاتب الرّوائي ينسج نصوصه مثلا على منوال "فيكتور هيقو" و"جيمس جويس" و"نتالي ساروت" و"فيرجينيا وولف" وأصحاب الرّواية الجديدة وهنا يأتي البحث عن علاقة المبدع بتراثه وهل استطاع هذا الأخير أن يخلق نصًّا عربيا يتميّز عن الرّواية أو المسرحيّة أو القصيدة ... العالميّة ؟ وهل أثّر النّاقد في تبعيته للنقد الغربي وصنع نموذجا إبداعيا يسير على منواله المبدع ؟.

من هنا نتساءل ونقول هل كانت هناك حقا نهضة عربيّة؟ بكل ما تحمله الكلمة من أبعاد فكريّة إبستيمولوجيّة. وما هي أسباب هذا الانشقاق الحضاري بين المبدع ونصّه وبين النّاقد وتراثه؟ وسنحاول من خلال هذا البحث إظهار قيمة العودة الى التّراث واستثماره من أجل خلق التّطوّر الحقيقي البناء للحركة الثّقافيّة والنّقديّة على وجه الخصوص.

2 .النّهضة العربيّة ووهم الحداثة: لقد بدأت النّهضة العربيّة في القرن التّاسع عشر وعلى الرّغم من صعوبة التّحديد الدّقيق لتاريخ ظهور مصطلح النّهضة بمعناه المعاصر في الخطاب العربي الحديث، إلاّ أنّ الكثيرين يذهبون للقول أنّه راج ابتداء من

النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر بالتّحديد، وكانت مراكزها الأساسيّة هي القاهرة بيروت ودمشق وعواصم عربيّة أخرى، "ويضع بعض المؤرّخين أمثال ألبرت حوراني تاريخ بدء النّهضة عام (1798) بالحملة البونابرتيّة، ويضعها آخرون بدخول إبراهيم باشا إلى سوريا عام (1832) لتنتهي مع اندلاع الحرب العالميّة الأولى عام (1914)، وأفضت النّهضة إلى إعادة انتشال اللغة العربيّة ممّا طرأ عليها من تقهقر وقدّمت أدبا عربيا معاصرا للمرة الأولى منذ قرون وعبر الجمعيات السّياسيّة بعثت النّهضة مشاعر الهويّة العربيّة مجدّدا، كما ناقشت قضايا الهويّة للبلاد العربيّة وعلاقتها بالرّابطة العثمانيّة ورفع أغلب رجال النّهضة شعارات الثّورة الفرنسيّة بالحريّة والعدالة والمساواة، كما تأثّروا تأثرا بالغا بفلاسفة عصر الأنوار الأوروبي" (محمّد جمال باروت، د.ت، ص.7) وتأسست في هذه المرحلة المدارس والجامعات العربيّة والصّحف والمجلات، "وقد شهدت هذه المرحلة، لا سيما في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر، تحولات مهمّة على مستوى الثّقافة العربيّة، منها ظهور مجموعة مهمّة من الشّعراء العرب، على رأسهم البارودي، الذي برز في الثّلث الأخير من هذا القرن وكان طابع الانتاج الشّعري فيها يقوم على معنى العودة إلى حيويّة الشّعر العربي في أصالة الشّعر مستوحيا التّراث الأصيل والعباسي منه خاصّة...(عزيز حسين علي الموسوي، 2016، ص.34).

وكذا نشوء حركة سياسيّة نشطة عرفت باسم الجمعيات التي رافقتها فكرة القوميّة العربيّة وبروز فكرة الاستقلال عن الدّولة العثمانيّة والمطالبة ببناء دول حديثة على المنوال الأوروبي، ورغم أنّ العلاقة بين العرب والغرب قد اتخذت -في بدايتها-طابع الصّراع العسكري "ولكنّ إدراك مفكّري القرن التّاسع عشر الحاجة إلى نتاج الثّقافة الأوروبيّة في مجالات الأدب والنّقد قد تأخّر إلى العقد الرّابع من ذلك القرن ثم ازداد قوة في النّصف الثّاني منه، إذ إنّ ذلك الإدراك كان نتيجة لاتصال مجموعات من المثقفين بالآثار الأدبيّة الغربيّة.." (سامي سليمان أحمد، 2016، ص.21) فتشكلت إذن نقلة نوعيّة عربيّة على كل النّواحي الاقتصاديّة والصّناعيّة والثّقافيّة.

ويسجّل التّاريخ الدّور الذي لعبه المسيحيون العرب في هذه النّهضة سواء من لبنان أم مصر أم سوريا وذلك من خلال مشاركتهم في النّهضة الثّقافيّة وفي الثّورة على الدّخول الأجنبي والاستعمار الأوروبي وهم من النّخبة والطّبقة المثقفة والطّبقة البرجوازيّة، ممّا

جعل إسهاماتهم في النّهضة الاقتصاديّة ذات أثر كبير "وكان لهذه النّهضة دورا ذات أهميّة بالغة في إنقاذ اللغة العربيّة وانتشالها بعد أن تعرّضت للضعف والتّقهقر، ومن الجدير بالذّكر أنّ اللغة العربيّة وآدابها قد بدأت تتراجع منذ تغوّل التّتار على بغداد وسقوطها بيدهم حتى وصل الأمر إلى شبه اندثارها، إلاّ أنّه عند قيام النّهضة العربيّة كان لا يزال هناك بصيص يبعث الأمل في نفوس العرب للنهوض باللغة "(ايمان الحياري،2010، ص)، وعليه فمصطلح النّهضة يخدم ما ذهب إليه الفكر البشري من تحوّلات وتغيرات يفرضها عليها التّاريخ والزّمن، والتّاريخ يثبت أنّه مصطلح كان يستخدم لكل ما هو جديد ويحول الفكر البشري(موسى بوبكر،2011، ص.8) ولقد أورد النّاقد طه حسين في هذا الصّدد لفظة "الإفاقة "والاستيقاظ "للدلالة على النّهضة بقوله "كان القرن الماضي عصر الإفاقة من نوم عميق، نستطيع أن ننظر إليه الآن من بعيد فنرى شيئا عجيبا نرى مصر تحاول أن تستيقظ شيئا فشيئا والأحداث الثّقال الضّخام هي التي تحاول ايقاظها ونرى العالم الخارجي والغربي يقظا منتبها يحاول أن يعرف عن مصر أكثر ممّا كانت مصر تعرف عن نفسها" (وفيق رؤوف،2005، ص.170).

وقد اجتمعت عدّة عوامل ساعدت على قيام الحركة النّهضويّة العربيّة ويمكن تلخيص أهمّها في: ظهور حركات الاصلاح الاسلامي وتأسيس الجمعيات والأحزاب السّياسيّة، وكذا سياسة التّتريك التي أسهمت في تهميش اللغة العربيّة والرّفع من شأن اللغة التّركيّة، كما كان للفكر الأوروبي الأثر الكبير في تحريك الوطن العربي والتّأثّر بالثّقافة الغربيّة، وذلك من خلال الحملات الفرنسيّة على مصر وبلاد الشّام وقد كان "أثرها مختلفا في الثّقافة العربيّة، فهي على الرّغم من كونها تمثّل البذور الأولى الواضحة تاريخيا للاتصال بالغرب، إلاّ أنّ ثمّة عوامل جعلت من هذه الحملة لا تؤثّر كثيرا في الحياة الأدبيّة والثّقافة العربيّة، إذا ما قيست بأثر البعثات العلميّة، والهجرات إلى البلاد العربيّة فهناك استعدّاد سلبي مسبق لدى العرب -لاسيما في مصر-تجاه الحملة، كما إنّ الطّابع العسكري لهذه الحملة وقصر عمرها وحداثة طريقة التّفكير التي يحملها زعماؤها،...الأمر الذي لم يتح لهذه الحملة أن تأخذ تأثيرا كبيرا في الثّقافة العربيّة" (عزيز حسين علي الموسوي، 2016، ص.44).

وكذلك لعب محمّد علي باشا بإصلاحاته التي نقل من خلالها المعارف العلميّة والثّقافة الغربيّة إلى مصر، وإرسال البعثات الثّقافيّة التي أدّت إلى تفعيل الحركة التّعليميّة والثّقافيّة في البلاد وهذه البعثات قدمت أفقا واسعا لتواصل العرب بالغرب وكانت نتائجه كبيرة في الواقع، وكان لدافع الاستشراق أن حرّك العلماء المسلمين والوقوف ضدّهم بعد استيعابهم الاستشراقيّة التي تراوحت بين الاستعماريّة والدّينيّة" حيث قام المستشرقون بخلق نهضة أدبيّة داخل الوطن العربي وذلك عن طريق نشر الكتب والمخطوطات القديمة، وكانت من نتائجها: الانفتاح على الثّقافة العالميّة وانتشار التّعليم والاطلاع على كنوز الرّؤيّة الفكريّة والمعرفة العلميّة عن طريق التّرجمة والتّنبيه الى ضرورة حماية التّراث ومعرفة قيمته ...، وأمّا من ناحيّة الأدب فقد حقّق كلا من العناية بالأسلوب، وبروز الشّعر التّاريخي والشّعر القصصي وإثراء اللغة..."(سميحة ناصر خليف،2010، ص).

لكن ما "يجدر الانتباه إليه هنا هو أنّ النّهضة في قاموس الحداثة الأوروبيّة تعني الولادة الجديدة وليس النّهوض بمعنى القيام والحركة وأنّ هذه الكلمة أصبحت منذ أوائل القرن التّاسع عشر وهو قرن الحداثة عنوانا لحركة فكريّة وقتيّة عاشتها أوروبا في القرنين الخامس عشر والسّادس عشر وقوامها العودة إلى أفكار وفنون العهد اليوناني والرّوماني.."(موسى بوبكر،2011، ص.12)، لهذا نتساءل هل حركة التّغيير التي عرفتها الحركة الثّقافيّة في القرن التّاسع تشكّل مفهوم النّهضة مثلما حدث في الثّقافة الأوروبيّة؟.

3. سيرورة النّقد بين التّبعيّة والحداثة:

1.3 الانفتاح والبعث للتراث: بتتبّعنا للتطوّرات المرحليّة التي عرفها النّقد العربي قديما وحديثا، نصل إلى أنّ النّقد العربي القديم كان انطباعيا ذوقيا إلى أبعد الحدود وقد جاء في شكل موازنات وأحكام تأثرية مبنيّة على الاستنتاجات الذّاتيّة، ولقد قامت الأسواق العربيّة بدور تفعيل وتنشيط الحركة الابداعيّة النّقديّة القائمة على الانطباعيّة والتّقويم الذّاتي، ويتحوّل جزئيا الوضع في الفترة الإسلاميّة ويرتبط النّقد بالمعيار الأخلاقي والدّيني "فالنّقد القديم وفي معظم أحواله، نقد جزئيات: يعنى بالبيت والبيتين، ولا يعنى

بالقصيدة كاملة، يغفل التّعليل والتّحليل لما يصدر من أحكام وغالبا ما تكون أحكامه متأثّرة بالمواقف الدّينيّة أو المذهبيّة أو القبليّة" (محمّد كريم الكواز 2006، ص.58).

ولقد كان للانفتاح على العالم الغربي الأثر الكبير على تحوّل النّقد العربي الحديث وذلك من خلال الاطلاع على آخر ما وصل إليه النّقد في أوروبا.

فقد استندت الحضارة الغربيّة في نهضتها على الثّقافة الإغريقيّة وإعادة الاعتبار للتاريخ اليوناني بكل أبعاده مركزين على الجانب الأدبي وإعادة إحياء المرحلة الأكثر ازدهارا في تاريخه بإعادة إحياء التّراث الفلسفي والأجناس الأدبيّة الكبرى كالملحمة والدّراما وكان الانفتاح على العالم الغربي سببا في رسم معالم الوعي في العالم العربي والإسلامي. وكان للمنطلق الأوروبي الغربي الذي أراد التّأسيس للحضارة والنّهضة انطلاقا من قاعدة القدماء صدى عند الإنسان العربي الذي اتجه هو بدوره الى التّراث العربي القديم بحثا فيه فظهر الاتجاه الإحيائي فكانت وجهته العصر الجاهلي والعبّاسي بحثا عن مكامن القوّة ورسم الأسس العامّة التي تحدّد هيكل جماليّة القصيدة بحثا على سنن التّفكير النّهضوي اعتمادا على فكرة التّقليد وتجاوز عصر الرّكود والضّعف والبحث عن مصادر القوّة.

لقد تأسّست مدرسة البعث والإحياء على مبدأ المحافظة على اللغة العربيّة في صورتها الأصليّة، ولقد انطلق شعراء مرحلة الإحياء أو النّهضة العرب، أو الشّعراء المحافظون من فهم للتجديد الشّعري، يقوم على إحياء الشّعر في تراثه وتقليد طرائق أدائه القديمة الثّابتة، مع الانحياز التّام للشكل القديم ومحاكاة لغته وبنائه ف "الشّعر قول موزون يدل على معنى ولكنّه ساقه سياقة مغايرة تتضمن العاطفة من جهة وتشير إلى الموهبة أو الطّبع الخاص من جهة أخرى، والشّعر ألفاظ موزونة متساويّة ذوات قوافي وألفاظ قليلة الكميّة تنطبق على معان كثيرة الكيفيّة، وأهواء معنويّة عشقتها النّفس فأودعتها في أهداب الحس..." (عبد الحكيم راضي، 1996 ص.46).

وينبغي الإشارة هنا الى أنّ مرحلة الإحياء تنقسم الى مرحلتين: مرحلة تدعو إلى التّقليد والمطابقة التّامّة للقدامى وللتراث في الشّكل والمضمون الى حدّ التّعصب وفي المقابل نجد اتجاهاً آخر أكثر انفتاحاً وقد كان للترجمة الدّور الكبير لفتح أسس التّحاور والتّواصل بين العرب والحضارة الغربيّة، فلهذا انتقلت إرهاصات التّجديد في النّقد العربي الحديث من

النّسيج على منوال العباسيين إلى ضرورة الاطلاع على ثقافة الغرب والآخر "والمتتبع للكتابات النّقديّة يجد إنّ إرهاصات الانفتاح على آداب الأمم الأوروبيّة بدأت تتسلّل وتأخذ طريقها في الرّبع الأخير من القرن التّاسع عشر عبر مقالات متناثرة في الصّحف والمجلات بأقلام يعقوب صروف وقسطاكي الحمصي ونجيب حداد، وإبراهيم اليازجي "وغيرهم.." (دخيل الله حامد أبو طويلة الخديدي ص.33).

نلتمس من هنا أنّ النّقد العربي انقسم إلى اتجاهين : فالأوّل اتجه اتجاه الماضي والثّاني باتجاه الغرب من أجل التّغيير والتّجديد والنّسج على منواله، حيث إنّ الكتابة الشّعريّة على الطّريقة التّقليديّة أحدثت مفارقة خارقة بين صورة الواقع كما هو وبين القصائد التي يكتبها الشّعراء تقليدا للقدماء،" إذ يمكن ملاحظة أنّ المؤسّسة النّقديّة كانت تضم نقادا إحيائيين يمثّلون الاتجاه الإحيائي الذي كان الاتجاه الوحيد في تلك المؤسّسة إلى قرب نهاية القرن التّاسع عشر، ولكنّ تلقي الأنواع الأدبيّة الحديثة أدى الى تنوّع مواقف النّقاد، ممّا يتيح – لمن يتأمّل كتاباتهم النّقديّة والفكريّة – التّمييز بين ثلاثة مواقف في إطار ذلك النّقد الإحيائي وهي: الموقف التّقليدي، والموقف التّجديدي، والموقف التّوفيقي ويشكل كل موقف منها تيارا داخل مؤسّسة النّقد الإحيائي" (سامي سليمان أحمد، 2016 ص.23.

وتعدّ جماعة **الدّيوان** أولى الجماعات في العصر الحديث التي اهتمت بالشّعر والنّقد فرأت ضرورة إعادة النّظر في قوانين حركة البعث والإحياء وهذا بمسايرة العصر تأثرا بالمنظومة الفكريّة التي صارت تحكم العالم بعد عصر النّهضة، تأثر روادها بالحركة الفكريّة في أوروبا، وتشبعوا بالثّقافتين العربيّة والغربيّة، وحددوا مجموعة من القواعد التّجديديّة في المجالين الشّعر والنّقد، ووضعوا كتابا نقديا لا يزال الى اليوم مرجعا مهمّاً في مجال النّقد العربي الحديث، وهو كتاب الدّيوان في الشّعر والنّقد.

ويمكن تلخيص المبادئ التي نادوا بها في سبيل تحقيق التّغيير والتّجديد في مجال النّقد هي ضرورة الذّوق والطّبع والابتعاد عن التّكلف والتّصنع واعتماد التّقييم والتّوجيه بعد التّفسير والتّحليل، وكذا الاهتمام بالمضمون ويأتي الشّكل في المرتبة الثّانيّة، وكذا ظهور الشّعر الموضوعي القصصي والتّجديد في الايقاع والموسيقى والتّركيز على التّلميح دون التّصريح.

وانطلقت مدرسة **"أبولوا"** من النّتائج التي وصلت إليها مدرسة الدّيوان، وهذه الجماعة تنتمي للتيار الرّومانسي المتشائم الذي صادف الظّروف الصّعبة التي سادت في العالمين العربي والغربي، فانفتحت الجماعة على العالم الغربي بشكل أوسع احتوى فيه ماضي وحاضر العالم الغربي تكون الإنسانيّة وسيطا بينهم، وإضافة الى القضايا التي طرحتها جماعة الدّيوان نادوا بضرورة التّخلي عن شرط القافيّة واستشراف القول بشروط الشّعر الحرّ وتمّرس صورة جديدة للغة العربيّة وكذا صياغتها وهذا ما أبعد اللغة العربيّة من معجمها القديم.

2.3المناهج النّقديّة العربيّة: يسير المنهج النّقدي العربي في تبعيّة تامّة في العصر الحديث للنقد الغربي وظهرت المناهج الكلاسيكيّة المختلفة في السّاحة الأدبيّة ولعبت دورا في قراءة واستقراء الابداع بكل اختلافاته، بحيث استورد النّاقد مختلف هذه المناهج بداية من المنهج التّاريخي الذي ظهر لأوّل مرّة في أوروبا وفي فرنسا مع **"أندري دوشيسون(**André Aechesson) الذي ألّف كتاب تاريخ فرنسا الأدبي سنة (1767) ويقسّم فيه الأدب الفرنسي حسب العصور والظّروف السّياسيّة ويقول: "إنّ النّصوص الأدبيّة الرّاقيّة هي عصور الأدب الرّاقيّة وعصور تاريخ السّياسة المنحطّة هي عصور الأدب المنحطّة" (أحمد نوفل بن رحال،2000،ص.95)" وكانت الفلسفة – بطبيعة الحال – باعتبارها المجال النّظري لوضع الأفكار الأساسيّة في الثّقافة الإنسانيّة هي التي تمثّل فيها هذا الوعي التّاريخي، وذلك بتصوّر العصور الماضيّة على أنّها قد تدرّجت من العصور البدائيّة التي كانت تسود فيها الأنظمة الأسطوريّة ..الى العصور الإنسانيّة الحديثة والرّومانسيّة، إذن بدأت في الفكر النّقدي التّوجّه إلى التّمثيل المنتظم للتاريخ باعتباره حلقة من التّطور الدّائم .."(صلاح فضل 2002، ص.25)، وكان العالم العربي كالعادة في استقبال هذا الجديد تأثّرا بهذه الشّخصيات الرّائدة من بينهم نذكر طه حسين في كتابه "تجديد ذكرى أبي العلاء المعرّي" وفي الأدب الجاهلي صار الأدب فيها رؤيا شاملة تحكي عن حياة وأخلاق وطبائع وأمزجة شعوب بأكملها دون تهميش، وأهم ما يميّز العمل الابداعي وهو الجانب الوجداني وقد اتبع كثير من مؤرّخي الأدب العربي الحديث منهج المستشرقين في تقسيم الأدب العربي (كارل بروكلمان ..) ومن هؤلاء "جورجي زيدان" في كتابه "تاريخ آداب اللغة العربيّة".

ثمّ ظهر المنهج الاجتماعي كحركة نقديّة موجهة للأدب في بداية القرن التّاسع عشر عندما تغلّبت النّظريات الاشتراكيّة على النّظم الاقتصاديّة والاجتماعيّة في العالم العربي، فظهرت طبقة من النّقاد ترى أنّ الأدب في خدمة المجتمع، وأنّ النّقد يصبح عديم الفائدة إذا تحجّر أمام جمال النّص أو رداءته، وأهم من مثّل النّقد الاجتماعي في العالم العربي هو "سلامة موسى" الذي كان من الأوائل الذين رفضوا المنهج القديم، ورأى ضرورة التّوصيل والرّبط بين الأدب والمجتمع في مقابل عدم الاهتمام بالشّكل" وكانت رسالة الأدب في منهج سلامة موسى تربويّة تغيّر المجتمع وتعنى بمعالجة شؤونه، كما يرى أنّ الأدب للحياة والإنسانيّة والمجتمع وأنّه ليس نكتة بديعة أو بيتا رائعا، إنّما هو ارتقاء وتطوّر لتعميم الخير والشّرف... وممّا يلاحظ أنّ سلامة موسى لم يكن ماركسيا بالرّغم من دعوته الى سيادة الاتجاه الاجتماعي في الأدب.." (أحمد عبد الحميد مهدي، ص.1).

ويأتي المنهج النّفسي مع زعماء التّحليل النّفسي في العالم الغربي "**كسيغموند فرويد**" و"**يونغ**" وارتبط الأدب مع هؤلاء ارتباطا وثيقا بعلم النّفس، وصار الأدب منظورا إليه كردّ فعل على جوانب مهمّشة في الإنسان تتحكّم فيه قبل أن يتحكّم فيها كون أنّ الإبداع صورة لعقدة نفسيّة وجب علاجها.

يعدّ "محمّد سويف" من بين أهم النّقاد العرب الذين أخذوا من علم النّفس في مجال النّقد، ويقول" لغة العقل لا تفهم لغة العواطف، وأنّ منطق العواطف لا يتحرج من قبول التّناقض، بل يذهب إلى القول بأنّ التّناقض هو قانون الحياة العاطفيّة.."(أحمد عبد الحميد مهدي،1981، ص.22).

ومجمل القول فقد ارتبط المنهج النّفسي بزعماء التّحليل النّفسي في العالم الغربي وأقرّ "فرويد " أنّ المبدعين قد طرقوا مواطن يعجز عنها الطّبّ لارتباطه بعالم الأرواح، فربط النّقد النّفسي بين نتائج علم النّفس الحديث ومواطن الشّعور واللاشعور وكذا الكبت فأصبح العمل الابداعي بمثابة الأحلام، وانتقل المنهج النّفسي الى العالم العربي ونبغ فيه عديد من النّقاد، نذكر منهم محمّد سويف والعقاد، وغيرهم من الشّخصيات التي رأت ضرورة ربط العمل الابداعي بنفسيّة المبدع وليس العامل الخارجي أو الواقع كما تصوّرته المناهج النّقديّة السّابقة وكلّها تدور في فلك المناهج السّياقيّة.

كما عرفت السّاحة النّقديّة العربيّة نوعا آخر من النّقد وذلك بظهور المناهج الحداثيّة وظهر المنهج البنيوي وكانت أفكار العالم السّويسري **"دي سوسير"** هي المنطلق وجاءت فكرة عزل النّص عن السّياق المرجعي بكل أبعاده وإن النّص يعتبر بنيّة لغويّة مغلقة فقد أطلق البنيويون شعار موت المؤلّف لكي يضعوا حدا للتيارات النّفسيّة والاجتماعيّة في دراسة الأدب ونقده، وبدأ تركيزهم على النّص ذاته بغض النّظر عن مؤلّفه "وقد كان البنيويون يقصدون بهذا الشّعار -موت المؤلّف- ألاّ تصبح البيانات المرتبطة بالمؤلّف هي جوهر الدّراسة النّقديّة أو هي نقطة الارتكاز الإستراتيجيّة الموجّهة للعمل التّحليلي النّقدي بل يجب أن تكون نقطة الارتكاز هي من النّص ذاته" (صلاح فضل،2002 ص.98)، وبعدها يظهر المنهج الأسلوبي الذي لا يخرج عن الاطار العام الذي حددته الدّراسات المحايثة التي تهتمّ بالنّص كلغة وأسلوب بمعزل عن المعطيات الخارجيّة المحيطة به، ثم يظهر المنهج السّيميائي ويصبح النّص علامة مشفرة ينبغي تفكيكها وفق الآليات الاجرائيّة التي حدّدها **"غريماس"** و **"شارل ساندرس بيرس"** على اختلافهما في الأسس الإجرائيّة.

وشهدت" حقبة السّتينات من القرن الماضي قيام تحولات حاسمة في المجتمع الغربي نجم عنها ظهور مناهج ما بعد البنيويّة المرتبطة بظهور مرحلة ما بعد الحداثة التي تعدّ استمرارا لمرحلة الحداثة التي مثلتها مناهج البنيويّة من أسلوبيّة وسيميائيّة لذا فقد كانت مناهج ما بعد البنيويّة من التّفكيكيّة ونظريّة التّلقي وظهور النّقد الثّقافي كانت نتيجة واستجابة للتحولات الاجتماعيّة، ولو راجعنا مصدريّة هذه المناهج والنّقاد الذين اسهموا في ظهورها لوجدناها مرجعيات فلسفيّة عالميّة على الرّغم من ظهورها في المجتمع الفرنسي.. لذا فقد اتصفت هذه المناهج بقدرتها على عبور مواطن التّأسيس إلى مجتمعات أخرى أسهمت في تقديم إضافات وتداخلات بين هذه المناهج والجهد الفكري المحلي لتقديم مشهد نقدي يتماهى وطبيعة النّصوص الابداعيّة الجديدة الخارجة من تحولات مجتمعاتها، وهذا ما يحصل في مجتمعنا العربي"(عبد علي حسن،2017، https://newspaper).

5. خاتمة: نستنتج في الأخير أنّ الثّقافة العربيّة لم تتبنّ مفهوم النّهضة بالمعنى الحقيقي للكلمة، إذ بقى العمل النّقدي عند العرب مجرّد نقل لما يعرفه الغرب من تحوّلات ولم يستطع الباحث العربي استثمار جذوره من أجل الولادة الجديدة والانبعاث الجديد والمقاومة من أجل البقاء أمام الثّقافات الأخرى المسيطرة، بل اكتفى النّاقد العربي بالتّرجمة لكل ما يظهر

في الثّقافة الغربيّة ومسايرته ومطابقته لهذا نصل الى القول إنّ الحركيّة النّقديّة العربيّة لا تنفصل عمّا عرفه النّقد في الثّقافة الغربيّة على الرّغم من أنّ التّحوّلات التي تعرفها هذه الأخيرة هي عالميّة تتجاوب معها الثّقافة العربيّة، لكن نصل الى أنّ إمكانيّة وضع منهج نقدي عبر الفلسفة العربيّة صار أمرا صعبا بل مستحيلا طالما لم يعدّ الباحث لاستقراء تراثه وتشغيل عناصره من أجل بعثها من جديد، بينما تكشف المرحلة الرّاهنة حسب قراءتنا عن فشل كبير للفكر النّقدي العربي في التّأسيس لحركيّة نقديّة عربيّة والسّقوط التّام في التّبعيّة على كل المستويات.

6.قائمة المراجع:

أحمد نوفل بن رحال، دروس ابن يوسف، النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، الطّبعة الأولى،2000.

حبيب مونسي، نقد النّقد، المنجز العربي في النّقد الأدبي دراسة في المناهج منشورات دار الأديب، الجزائر،2007

عبد الحكيم راضي، النّقد الاحيائي وتجديد الشّعر دار الشّايب للنشر، جامعة القاهرة حلب الطّبعة الأولى، 1993.

عزيز حسين علي الموسوي، النّص المفتوح في النّقد العربي الحديث، الدّار المنهجيّة عمان 2016.

صلاح فضل، مناهج النّقد المعاصر، ميرث للنشر، الطّبعة الأولى، القاهرة ،2002.

محمّد سويف، الأسس النّفسيّة للابداع الفني في الشّعر، دار المعارف، الطّبعة الرّابعة القاهرة،1981.

محمّد جمال باروت، حركة التّنوير العربيّة في القرن التّاسع عشر حلقة حلب: دراسة ومختارات، وزارة الثّقافة.

محمّد كريم الكواز، البلاغة والنّقد: المصطلح والنّشأة والتّجديد، مؤسّسة الانتشار العربي، الطّبعة الأولى، بيروت، 2006.

– وفيق رؤوف، إشكاليّة النّهوض العربي من التّردي الى التّحدي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الطّبعة الأولى، بيروت لبنان، 2005.

– سامي سويدان أحمد، التّمثل الثّقافي وتلقي الأنواع الأدبيّة الحديثة –تجربة النّقد العربي في النّصف الثّاني من القرن التّاسع عشر–، مكتبة الآداب، القاهرة 2016.

الرّسائل الأكاديميّة:

– أحمد عبد الحميد مهدي، المنهج الاجتماعي ورواده في النّقد الأدبي الحديث، قسم اللغة العربيّة، بحث في مادة النّقد الأدبي، كليّة اللغات، جامعة المدينة الشّاه ماليزيا.

- موسى بوبكر، إشكاليّة فكر النّهضة العربيّة، دراسة نقديّة لمشروع النّهضة، رسالة لنيل شهادة الدّكتوراه في علوم الفلسفة، سنة 2010/2011، جامعة باتنة الجزائر.

7. مواقع الأنترنيت:

ايمان الحياري (2010) عوامل النّهضة العربيّة،

موقع :http//mawdoo3.com آخر تحديث 23 ديسمبر، 12:32 **سا**

عبد علي حسن، (2017) عالميّة المناهج النّقديّة

https://newspaper آخر تحديث /11/، 20.00سا

سميحة ناصر خليف، (2016)، عوامل نهضة الأدب في العصر الحديث

http//mawdoo3 com. آخر تحديث 10مايو، 05:54سا

7.هوامش:

[1] . محمّد جمال باروت، حركة التّنوير العربيّة في القرن التّاسع عشر حلقة حلب: دراسة ومختارات، وزارة الثّقافة، ص: 7

[2] . عزيز حسين علي الموسوي، النّص المفتوح في النّقد العربي الحديث، الدّار المنهجيّة الطّبعة الأولى الأردن 2016، ص:34.

[3] . سامي سليمان أحمد، التّمثل الثّقافي وتلقي الأنواع الأدبيّة، مكتبة الآداب، (دط) القاهرة ،2016 ص:21

[4] . ايمان الحياري، عوامل النّهضة العربيّة، موقع:http//mawdoo3 .com آخر تحديث 23 ديسمبر 2010،12:32

[5] . ينظر: موسى بوبكر، إشكاليّة فكر النّهضة العربيّة، دراسة نقديّة لمشروع النّهضة رسالة لنيل شهادة الدّكتوراه في علوم الفلسفة، سنة 2010/2011، جامعة باتنة الجزائر، ص: 8

[6] . وفيق رؤوف: إشكاليّة النّهوض العربي من التّردي الى التّحدي، مركز دراسات الوحدة العربيّة، الطّبعة الأولى، بيروت لبنان، 2005، ص:170

[7] . عزيز حسين علي الموسوي، النّص المفتوح، المرجع السّابق، ص:44

[8] . سميحة ناصر خليف، عوامل نهضة الأدب في العصرcom. 3mawdoo// :https آخر تحديث 10مايو 2010، 05:54

[9] . موسى بوبكر، إشكاليّة فكر النّهضة العربيّة دراسة نقديّة لمشروع النّهضة، المرجع السّابق، ص:12

[10] . محمّد كريم الكواز، البلاغة والنّقد: المصطلح والنّشأة والتّجديد، مؤسّسة الانتشار العربي، الطّبعة الأولى، بيروت 2006، ص:58.

[11] . عبد الحكيم راضي، النّقد الاحيائي وتجديد الشّعر دار الشّايب للنشر، جامعة القاهرة حلب، الطّبعة الأولى السّنة 1993، ص:46.

[12] . دخيل الله حامد أبو طويلة الخديدي، الرّؤيّة الجديدة للنقد والشّعر عند عبد الرّحمن شكري، ص:33

سامي سليمان أحمد، التّمثل الثّقافي (المرجع السّابق)، ص :23

[13] أحمد نوفل بن رحال، دروس ابن يوسف، النّجاح الجديدة، الدّار البيضاء، الطّبعة الأولى،2000 ص:95

[14] صلاح فضل، مناهج النّقد المعاصر، دار ميرث للنشر، الطّبعة الأولى، القاهرة 2002 ص:25

[15] أحمد عبد الحميد مهدي، المنهج الاجتماعي ورواده في النّقد الأدبي الحديث، قسم اللغة العربيّة، بحث في مادة النّقد الأدبي، كليّة اللغات، جامعة المدينة العالميّة شاه عالم ماليزيا، ص:1

[16] محمّد سويف، الأسس النّفسيّة للإبداع الفني في الشّعر، دار المعارف، القاهرة الطّبعة الرّابعة ،1981 ص:22

[17] صلاح فضل، مناهج النّقد المعاصر، دار ميرث للنشر، الطّبعة الأولى، القاهرة 2002 ص:98

[18] عبد علي حسن، عالميّة المناهج النّقديّة https://newspaper تحديث 11/ 2017/ 20.00سا.